الدراسات
اللغوية والأدبية

بلاغة الحكاية في نهج البلاغة
(الصورة المتوارية أنموذجاً)

الاستاذ الدكتور
عباس علي حسين الفحام
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المدرس المساعد
بدور عبد السجّاد خادم

بلاغة الحكاية في نهج البلاغة (الصورة المتوارية أنموذجاً)

The Rhetoric of Tale in Nahjul-Balagha

الاستاذ الدكتور
عباس علي حسين الفحام
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات
Dr. Abbas Ali Hussain AL-Fahham
Maryam.201233@ yahoo.com
University of Kufa /College of Education for Girls

المدرس المساعد
بدور عبد السجّاد خادم
Buddor Abdul-Sajjad Khadim

الملخص

شغلت الكناية مكانة كبيرة عند البلاغيين ، لخصوصياتها في بناء صورة دقيقة ، تختبئ خلف مجموعة من العبارات والإشارات والرموز ، والتي تتطلب إلى متكلمٍ عبقري فذٍّ ، قادر على التصرف بفنون الكلام ، ومتلقي لمّاح قادر على استكناه المعاني التي تحملها تلك الإشارات والرموز ، الحاملة لفكرة المتكلم ، فـ (المتكلم ، المتلقي ، فكرة) هي أهم عناصر بناء الصورة الكنائية ، التي نلمحها في النصوص العلوية المحكية ، فقد كان للكناية المساحة الواسعة في الحكاية العلوية ، فرضتها طبيعة الموضوع والموقف ، وقد تعددت وسائل الكناية مابين الكناية بحسب المكنّى عنه ، والكناية بالوسائط والسياق ، وقد جاء البحث ليسلط الضوء على بلاغة تلك الوسائل في بناء الصورة الكنائية المتوارية ، وقدرتها على إيصال المعاني للمتلقي .

Abstract

The metaphor has a great place in the linguists, for its specificities in building an accurate picture, hiding behind a series of words, signs and symbols, which require a genius speaker capable of acting in the arts of speech and a recipient of a metaphor capable of comprehending the meanings of those signs and symbols, (The speaker, the receiver, the idea) are

the denominator, Context, and the research came to highlight the eloquence of those means in building the hidden image of the hidden, and its ability to convey meanings to the recipient the most important elements of the construction of the canonical image, which we are aware of in the upper texts spoken, the metaphor of the vast space in the story of the upper, imposed by the nature of the subject and the position, and there were many means of metaphor between the denomination according to

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة

الحمدُ للهِ الّذي لا تُدرِكُهُ الشّواهِدُ ، ولا تَحوِيهِ المشاهِدُ ، وصلى الله على أكرم خلقه حبيبه المصطفى والخاتم لما سبق أبي الزهراء محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وعلى أهل بيته المصطَفين الأخيار .

تتفاوت ملامح الصورة المراد بنائها بحسب الركيزة التي تُبنى عليها ، فنرى في التشبيه _الذي يعدُّ الأساس في بناء الصورة _ ملامح الصورة تبدو واضحة مهما كان نوع التشبيه ، وتبعد معاني الصورة عن الظهور المباشر في الاستعارة حيث تشكل علاقة ينصهر فيها الطرفان فيبدوان عنصراً واحداً ، وتزداد المسألة دقةً وعمقاً في الكناية التي تشكل أحدى الركائز الأساسية في بناء الصورة ، فنلحظ أنّ المعاني التي تحملها الصورة تنضوي خلف جملة أشارات أشبه بالشفرات تحتاج إلى فكّها وتحليلها ما فيها إلى متلق حذق ، قادر على استنباط الفكرة التي يحاول المتكلم نقلها له ، ومعرفة الغاية منها ، مما يكون له أثرٌ كبير في إحداث التأثير المطلوب ؛ لذا جاء هذا البحث الموسوم بـ (بلاغة الحكاية في نهج البلاغة/ الصورة المتوارية أنموذجًا)، ليسلط الضوء على تلك الصورة الكنائية وكيفية بنائها ، ولاسيّما أنّها ظهرت بشكل واضح وكبير في الحكاية العلوية ، كذلك أهم الوسائل التي تشكلت منها ، وغاية الإمام من هذه الصورة ، ودورها في نقل المعاني ، وأثرها في المتلقي . ومما تجدر الإشارة إليه أننا أشرنا في الدراسة إلى الخطبة بالرمز(خ) ، وإلى الكتب بالرمز (ك) ، وإلى ما ورد عنه من كلام بالرمز (م) .

مـدخـل :

إنّ الانتقال بين أبوابِ علمِ البيان ، ما هو إلاّ انتقال من العموم إلى الخصوص ثمّ الأخص فتشكّل تلك الأبواب أداة لرسم صورة تتفاوت في ملامح ظهورها ، فإذا كان التشبيه يبحث عن

نقاط يشترك فيها طرفا التشبيه ، فالاستعارة أدقّ وأعمق لصهرها أحد الطرفين بالآخر ، حتى يصبح من الصعوبة بمكان فصلهما عن بعض ، وتزداد المسألة دقة وصعوبة في الكناية ، التي تتوارى خلفها صورة دقيقة تتطلب من المتلقي الحذق لملمة شتاتها ، وجمع أجزائها ، التي تختبئ خلف الإشارات والرموز ، إذ إنّ الصورة الكنائية المتوارية كلما ابتعدت عن موطنها الأصلي التي انطلقت منه ، كلما ازدادت تورياً في عمق الألفاظ الحاملة لتلك الإشارات والرموز ، وهي بعد كنظيراتها من الصور تتكئ على ثلاث ركائزٍ أساسية : فكرة تعدُّ المحور الأساسي في بناء الصورة ، التي يتطلب إخراجها متكلم عبقري عالم بفنون القول ، الذي يمثل الركيزة الثانية ، فإذا ما توفرت تلك الركيزتان ، أصبحت الصورة أشبه ببذرة مهيّأة للإنبات في ذهن متلقٍ لمّاحٍ قادرٍ على استكناه خباياها ؛ لذا حظيت الكناية بمزيد من الاهتمام عند البلاغيين ، وبسطوا الحديث عنها في كتبهم ، فقد عرّفها الشيخ الجرجاني(ت٤٧١هـ) بأنّه ((أنْ يُريدَ المتكلمُ إثبات معنىً من المعاني ، فلا يذكرُه باللفظ الموضوع له في اللغةِ ، ولكن يجيء إلى معنى تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه))[1] ، ما يعني وجود معنيين ، حقيقي و مجازي ، فالمسافة المجازية التي تقطعها الصورة المتوارية بين هذين المعنيين ، هي المسافة التي تنبثق منها الصورة الوليدة لتتلاحم أجزاؤها وتستوي على معانيها ، وهذه المسافة تمثّل المدار الذي يدور حوله ذهن المتلقي ، فيعمل فيه على تجزئة الصورة محاولة منه للوصول للغايات التي ترتبت وراء تشكّلها ، حيث إنّ تكوين تلك الصورة ((يقتضي تركيب صورتين إحداهما تعمل على توجيه الأخرى ، **الأولى:** هي صورة الأصل حقيقة لا تتعدى حدود اللغة ، و**الثّانية:** صورة تشعُّ من الأولى منصرفة عمّا وضعتْ له إلى الإيحاء والرمز، متخذة من الأصل دليلاً يتوصل به إلى إدراك المعنى الجديد))[2] ، فهي إذاً ((ضربٌ من ضروبِ العدول عن اللفظ يقرر معناه حقيقة وصراحة الإتيان بلفظٍ آخر يؤدي هذا المعنى في شيءٍ من التأويل على أنْ تكونَ هناك علاقة لازمة بين اللفظين فيما يؤديانه ؛ لذلك فإنّ هذه العمليةَ اللغوية الفنية تُنتجُ لنا صورةً بديلةً لازمة لما عُدل عنه وتُرِكَ ما سواه))[3] ؛ لذلك كانت ((أدخل في إفادة المعاني من تلك الصرائح الموضوعة ؛ وذلك لأنّ دلالة هذه الأمور على ما تدل عليه ، إنّما كان دلالة باللازم والتابع ، ولا شكَّ أنّ الدلالةَ على الشيءِ بلازمه أكشف لحاله وأبين لظهوره وأقوى تمكناً في النّفسِ من غير ما ليس بهذه الصفة))[4] ، وأثر الكناية في بيان الحكايات القائمة على ترجمة تلك المعاني المعقولة إلى حسيّة تثير في المتلقي مشاعر الإعجاب وهو ما تستطيعه اللغة العادية ، لا يقلُّ عن أثر التشبيه والاستعارة ، وهذا ما يميز

اللغة الأدبية عن اللغة العادية[٥] ، فإذا كانت الصورة الكنائية باباً من أبواب الإيجاز لما تتيحه من فرصة لبسط المعاني واتساعها ، فهي أيضاً صورة تتشحُ برداء الأدب والخلق العظيم ، إذ بها((يُعبر عن المعاني التي يجملُ إخفاؤها وعدم التصريح بها ؛ لأنّها تنافي الذوق السليم ، شريطة أن لا يؤدي هذا الخفاء إلى التعقيد والإخلال بالمعنى))[٦] ، وسيتناول هذه المبحث دراسة بلاغة الصورة الكنائية المتوارية ، متتبعاً تقسيمها ، إمّا بحسب المكنّى عنه ، أو على اعتبار الوسائط والسياق ، وكما دأب البحث على تناول وسائل الحكاية العلوية ، بدءً من أكثرها ، تجلياً وحضوراً ، لذلك سيبدأ من :

أولا : حكاية الكناية بحسب صورة المكنّى عنه ، ويقسمُ إلى كناية صفة ، موصوف ، نسبة ، ومجيء هذه الأنواع في الحكاية متفاوت جداً ، ولمّا كانتْ الكناية بالصفة أكثر تجلّياً من غيره ، فإنّا سنبدأ به .

١_ حكاية الكناية عن الصفة :

وهي التي ((يطلب بها نفس الصفة والمراد هنا الصفة المعنوية))[٧]، وليس النعت ، فما جاء منه في الحكاية قوله (عليه السلام) رداً على حكاية بلغته من دخول بُسر بن أرطاة اليمن : ((**أُنْبِئتُ بُسْراً قَدْ اطَّلَعَ الْيَمَنَ ... فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحْدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشَيْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلاقَتِهِ**))[٨] ، فخلف قوله (**لَخَشَيْتُ أَنْ يَذْهَبَ ..**) تتوارى صورة دقيقة عن الخيانة ، ممكن أن نستشفي ملامحها عن طريق لفظة(**قَعْبٍ**) وهو قدح كبير توضع له عِلاقة من الليف ، كنّى به عن الأمور الحقيرة والصغيرة التي لا قيمة لها ، فقوله (**فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحْدَكُمْ...**) ، هو للمبالغة في بيان خيانتهم ؛ أي لو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت سرقته وأخذ علاقته[٩]، وبلحاظ ذلك نجد ، إنّ ذكرَ الخيانة في الأمورِ الصغيرة ، هو نقلٌ لذهن المخاطب إلى تصوّرِ الأمور الكبيرة لاسيّما الدينية ، ومنها إلى الخيانة بعهده ، التي تجعلهم غير منصاعين لأوامره ، وهذا ما يسمى بالكناية البعيدة التي يتَوَصَلُ إلى المطلوب منها بواسطة أو وسائط متعددة ، ويختلف بناء الصورة الكنائية عن الصفة في الحكاية ، بحسب المخاطب وموقعه ، وطبيعة الفكرة التي في ذهن المتكلم ، لذا نلمسُ تعبيراً مختلفاً لصفة الخيانة في موضع آخر من الحكاية ، حيث يقول (عليه السلام) رداً على حكاية بلغته من أحد عمّاله : ((**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ ... بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ ، وأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ**))[١٠].

تتمحور الصورة الكنائية المتوارية حول الألفاظ (**جَرَّدْتَ _ أَخَذْتَ _أَكَلْتَ**) ، التي أسهمت في بيان صورة للخيانة ، بدأت بتجريد الأرض ، فبدأ بأكثر الأشياء أهمية ، فالأرض مصدر مهم تقوم عليه حياة المسلمين وقتذاك ، وتجريدها إشارة إلى أخذ الأموال المتحصّلة منها ، التي هل ملك

المسلمين ، وجعلها له خاصة ، وهذا مما يوجب سخط الإمام ، وبالنتيجة سخط الله عزَّ وجلَّ .

خيانة الأمانة هي انتهاك صريح لما نصَّ عليه القرآن في قوله تعالى﴿ **وَالَّذِينَ هَمْ لِأَمَانَاتِهِم وَعَهْدِهُمْ رَاعُونَ** ﴾[١١]، وإنّ آثارَها تنعكسُ سلباً على المجتمع لاسيّما إذا صدرت ممن يلي أمور المسلمين ، لذلك نلمس شدَّة الإمام عليه السلام في الحساب عليها ، كتوعّدِه أحد عمّاله حين بلغه تقسيمه فيء المسلمين على خاصّتِه ، في قوله : ((**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ ... إِنَّكَ تَقْسِمُ فَيءَ الْمُسْلِمِينَ _الذِي حَازَتْهُ رِمَاحَهُمْ وَخُيُولُهُمْ وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُم_ فِيمَنْ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَئِنْ كَانَ ذلِكَ حقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَواناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلا تَسْتَهِنْ بِحقِّ رَبِّكَ**))[١٢].

وعبارة (**لَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً**) هي كناية ((عن صغر منزلته عنده))[١٣]، التي هي حصيلة ما يجترح من سيئات . وإنَّ التعبير عن ذهاب الحسناتِ بخفة الميزان ، هو تعبيرٌ قرآني وردَ بقوله عزَّ وجلَّ ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسِهُمْ** ﴾[١٤] ، مما يدلُّ دلالة واضحة على تتبّعِ الإمام في الحكاية النهج القرآني فيما يقوله ويفعله ، ولإرجاع الناس أيضاً لأجواءِ القرآن التي يشعرُ أنّهم ابتعدوا عنها .

الصورةَ الكنائيّة وأسلوب بنائها، هو نتاجُ فكرٍ، وطبيعةُ موقفٍ ، واختلافُ موضوعٍ ، لذا من الطبيعي أنْ يختلفَ ، من موقفٍ إلى آخرٍ؛ لذا نلمح صورة مختلفة رسمها عليه السلام لبيان مسألة حقِّه في الخلافةِ ، تجلّت بأساليب متعددة الصّريح منها وغير الصّريحِ ، وهذا واحدٌ منها ، ففي ردِّه على حكاية أُتِهمَ بها بالحرص على الخلافة قوله : ((**وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هذا الأَمْرِ يا بْنَ أَبي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ... إِنَّما طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ**))[١٥] ، فعبارة (**تَضْرِبُونَ وَجْهِي**) تختبئ خلفها صورة كنائية توحي بمنعٍ مقصود ، يُشير عن طريقها إلى تلك ((الألاعيب التي لعبوها في الشورى))[١٦]، وعلى وفق ذلك نلمح تعدد الصور الكنائية لبيان صبره عن أخذهم حقِّه منه في قوله (عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ... وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، فِي الْحقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً .فَنَظَرْتُ فَإِذا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ ،إِلاَّ أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنْ الْعَلْقَمِ، وآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ .**))[١٧].

في النصّ المحكي تتوالى الكنايات ؛ لأجل استشفاف ملامح الصورة المخبوءة خلف العبارات ، وأولى تلك العبارات الكنائية التي تطالعنا هي قوله (**فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى**) ، ففيها من مرارة التصبّر ما يجعل لوقعها على

السمع صدى قوياً ، فالإغضاء هو((إدناء الجفون من بعضها البعض))[١٨]، عندما يعترضها شيءٌ من الغبار ونحوه ، واستعار تلك الصورة وكنّى بها عن((شدة تحمله مرارة الصبر، وتحمل الألم لضياع مطلوبه))[١٩]، ثمّ جاءت الكنايتان المتمثلتان في قوله : **(وَجَرِعْتُ رِيقي عَلَى الْشَّجَا ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيظِ)** لتضيف للصورة عمقاً أكبر ببيان مدى تحمله ألم غصب حقه ومرارة السكوت عنه ، فيكون حاله شبيه ((بمن اعترض حلقه عظم أو غيره، فشتدّ الوجع به ويكون أشدَّ وجعاً إذا أراد بلع شيءٍ عليه ، أو بمن أُخذ بمجرى نفسه فهو في خنق))[٢٠] ، فتلك الكنايات أسهمت في رسم صورة لحالة الإمام الشعورية على نحو دقيق ، وهي بعد قريبة للذهن ؛ لأنّها :

١ _ في معرض الدعاء لله ، والدعاء بالنسبة للإمام حالة من الذوبان والانصهار الروحي بين يديّ المولى ، والتي تولد الشعور بالقرب من الفيض الآلهي ، ومع هذا القرب فلا يكون هناك داعٍ لوسائط لغوية عدة للوصول للغاية .

٢_ موضوعٌها بيّنٌ لكلِّ من سمعها أو يسمع بها ، فهذا التلون في رسم الصورة الكنائية للحكاية ، الذي امتزج ((به الأثر البياني بالإحساس الداخلي بما فيه من عاطفة كامنة ، كان التلميح لها ابلغ من كل تصريح))[٢١]، تمكن من رسم صورة صادقة أفاض عليها من صدق مشاعره بما جعلها صورة متجددة زاخرة بالمعاني.

ومن الكنايات المحكيّة التي جاءت على لسانه عليه السلام والتي كان لها الأثرُ في بيان صفات النكوص والفرار أو الثبات والإصرار، منها قوله: ((**وَإِنَّما عَهْدُكُمْ بَعَبْدِ الله بِنْ قَيْسٍ* بِالْأَمْسِ يَقُولُ : ((إِنَّها فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ)) فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيرِ مُسْتَكْرَه، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ**))[٢٢] .

تجلت الكناية في :**(فَقَطِّعُوا_ وشِيمُوا)** ، وهما كنايتان عن الفرار من الحرب واعتزالها، التي أطلقها الأشعري ، لغرض تثبيط عزائم الجيش ، وهي بعد تحمل صورةً خفية لما يضمره الأشعري اتجاه الإمام بسبب عزله عن ولاية الكوفة ؛ لذلك كان يحاول هدّ عزيمة الجند بعذر اعتزال الفتن التي كان الإمام يخُبر عنها .

كذلك قوله عليه السلام في حكاية تضمّنت سؤاله عن قبوله التحكيم : ((**أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ، إِخْوانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنا، أَسْتَقَالُونا وَاسْتَرَاحُوا إِلى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ ...؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هذا أمرٌ ظَاهِرُهُ إِيمانٌ ... فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ**))[٢٣] .

يدور مدار الصورة حول قوله **(وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ)** والنواجذ هي أقصى الأضراس ، وعند العضّ عليها ((تتصلب

الأعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ فيزول عنها الاسترخاء ، فتكون على مقاومة السيّف أقدر ، وتأثير السّيف أقلّ))[٢٤] ، ففي تلك الكناية تصوير لحرب مهولة تكتنفها مبالغة في الثبات ولزوم الحرب لقتال أهل الباطل .

والمبالغة في بناء الصورة الكنائية تمنحها إشراقةً وجمالاً ، وتزيدها قوةً ، حتى تبدو معها المعاني جديدةٌ ، فمن الكنايات الأخرى التي كان للمبالغة اثرٌ واضحٌ فيها قوله (عليه السلام) رداً على حكاية للخوارج حين اتهموه بالضّلال : ((**فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ _صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلّم _ بِضَلاَلِي... وَالْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ . أَلَا مَنْ دَعَا إِلى هذا الشِّعارِ فَاقْتُلُوه ، وَلَوْ كانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هذه**))[٢٥]، في الحكاية كنايتان :

_ (**يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ**) ، فليس المقصود من اليد ، الجارحة إذا لا يصحّ نسبة ذلك لله عزَّ وجلَّ فـ ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ**﴾[٢٦]، وإنّما هي هنا وسيلة يتوصل بها إلى معنى آخر، فهي تدّل على القدرة والسلطة، ومن مصاديق القدرة، الحفظ والمعونة ؛ أي حفظ الله ((على الذين اجتمعوا على الديّن الحقّ والإمام الحقّ))[٢٧]، وذكر(على) الدالة على الاستعلاء دليل على أنّ رعاية الله تغشاهم وتحيط بهم .

_ (**تَحْتَ عِمَامَتِي**) وهي ((مبالغة كنّى بها عن أقصى القرب من عنايته ؛ أي لو كان ذلك الداعي إلى هذا الحدِّ من عنايتي))[٢٨] اقتلوه ، ويقصد بالداعي من دعا من الخوارج بشعار لا حكم إلاّ لله ، فهذه المبالغة أمدت الصورة الكنائية بمزيد من القوة والتأكيد .

٢_ حكاية الكناية عن الموصوف :

هي ((التي يطلب بها نفس الموصوف ، والشرط هنا أن تكون الكناية مختصة بالمكنيّ عنه لا تتعداه))[٢٩]، وقد وردت حكاية الكناية عن الموصوف على نحو أقلّ في الحكاية قياساً بالحكاية عن الصفة ، فمن حكاية الكناية عن الموصوف قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية معاوية حين اتهمه بأنّه يمنُّ على الإسلام بسابقته وجهاده حين فاضل بينه وبين غيره : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ... وَلَوْلَا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيةِ الْمَرءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤمِنِين ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِين**))[٣٠] .

في النصّ العلوي نلحظ أنّ الكناية الواقعة في قوله (**لَذَكَرَ ذَاكِرٌ**) ، تلّوح بصورة تكشف عن حقيقة الإمام وتواضعه ، فكنّى عن نفسه الطاهرة بلفظ (**ذَاكِرٌ**) ، وجاء به نكرة ((ولم ينسبْه إلى نفسه ؛ لأن في ذلك صريح دلالة على تزكية النفسِ))[٣١]، وبرغم النهي من تزكية النّفس إلّا إنّ ((الضرورات قد تبيح تزكية المرء نفسه حين

يقتضي توضيح مبدأ وفضح تلبيس الحق بالباطل))[٣٢]، ورغم ذلك اكتفى الإمام بالإشارة إلى تلك الفضائل بقوله **(تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤمِنِين)** ، لمّا ظهرت واستقرت في نفوسهم .

وفي قولٍ له عليه السلام رداً على حكاية معاوية حين هدده بالحرب: ((**وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلاَّ السَّيْفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بني عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ ناكِلِينَ وَبالسَّيفِ مُخَوَّفِينَ**))[٣٣] .

فالكناية التي وقعت في قوله **(أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ)** تعكس صورة للحالة العجب التي تملّكت الإمام من وعيد معاوية له ، التي أوجبت الضحك بعد الاستعبار ، ولا تقال هذه العبارة إلاّ في الأمور البالغة من العجب حدّ الغرابة ، لذلك كان ((وعيده لمثله عليه السلام من أبلغ الأسباب المستلزمة لأبلغ العجب))[٣٤] ؛ إذ لا يخفى على كُلِّ لبيبٍ شجاعة عليٍّ وبطولاته فكأنَّ **(أَضْحَكْتَ)** من باب الاستهزاء بهذا الوعيد .

تُعَدُّ الفتنُ من الأمورِ المستقبلية ، التي تمازجت في وصفِها أساليبٌ متعددة ، قال (عليه السلام) حكاية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((**لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ . فَإذا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرضِ وَطْأَتُهُ**))[٣٥] .

يمكننا تتبع منابع الصورة المتوارية عن طريق كناياتٍ متعددة ، ترسم صورة دقيقة لصاحب الفتنة أولاً ، والفتنة ثانية ، فوصف صاحبها هو مقدمة لبيان عظم الفتنة ، فكنّى الإمام عن صاحب الفتنة بـ **(نَعَقَ بِالشَّامِ)** ، وهذه الكناية يتجاذبها معنيان ، **الأول** : بلحاظ الضّليل ، الذي يلمح فيه التنكير ليشمل كلّ زمانٍ ومكانٍ ، وعبّر عنه بلفظ (نعق) والنعيق هو صوت الغراب فتشبيهه بالغراب كونه نذير شؤم ؛ ولأن الغراب لا يوجد إلاّ في الأماكن الخربة[٣٦] ، فتكون بذلك أشارة إلى ما سيحدثه الضّليل من دمارٍ في البلاد ، **الثاني** : بلحاظ مَن سيتّبعه ، لاسيّما إنّ هذه الدعوة أول ظهورها في الشام ، وأهل الشّام معروفين بالانقياد الأعمى _ بسبب التضليل _ لدعاة الباطل ، فيكون قد شبّههم بالبهائم ، وعليه لفظ نعق هو ((تصويت وزجر لها فهي لا تعي كما يعي العقلاء))[٣٧] ، وكلاهما يصّحان ، لما يحملانه من صورة دقيقة لكلا الطرفين .

ويستمر الإمام في رسم صورة صاحب الفتنة ، ففي قوله **(وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ)** ، والفحص هي حفر يتخذها الطائر مكانا يبيض فيه[٣٨] ، استعاره الإمام وكنّى به عن استيلاء الضّليل على الكوفة وبسط نفوذه فيها[٣٩]، ولإعطاء صورة لقوة الضّليل التي أوجبت له بسط نفوذه، توسل الإمام بكناية أخرى معاضدة للأولى في الكشف عن الصورة المخبوءة خلفها ، تمثّلت بقوله **(فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ)** ؛ أي فتح فمه ((وجيء بالمؤنث باعتبار النفس كأنّها تريد الالتهام لكلِّ

شيءٍ ، والفم دليل على فغر النفس))[٤٠] ، والشكيمة : يقال ((فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد المراس شديد النفس عسير الانقياد))[٤١] ، وهي في الأصل الحديدة التي توضع في لجام الدابة فجاءت الكناية كاشفة عن قوة هذا الضّليل ، أمّا قوله **(وَثَقُلَتْ فِي الْأَرضِ وَطْأَتُهُ)** فهي كناية عن ((شدة بأسه في الأرض على الناس))[٤٢] ، وثمّة أمورٍ نلمحها في الحكاية هنا منها :

_ إنّ الابتداءَ بذكرِ الضلّيل وصفاته ، إنّما هو إنباءٌ بعظيمِ فعلِه وفداحة أمره ؛ إذ إنّ عظمَ الأمورِ وصغرها أو قصورها مرهونُ بمن يقودها .

_ المبالغة في الوصف ، تلك المبالغة التي استحالت طريقة في الشرح والتوضيح ، فقد صوّره تصويراً في غاية الدقة ، فأظهره بصورة مرعبة من البأس والقوة والبطش والقسوة ، لتوجيه الأذهان إلى تصور عظيم ما سيلاقونه ؛ إذا حلّتْ تلك الفتنة بديارهم .

بعد أنْ وصف الإمام عليه السلام الضلّيل ، بدأ بوصف الفتنة ، في النصّ المحكي ذاته بقوله : ((**وَمَاجَتِ الْحَربُ بأَمْوَاجِهَا ، وَبَدا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُها ، مِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُها**))[٤٣] ، فاستعار لفظة الموج للحرب ((وكنّى بها عن الاختلاط الواقع فيها من القتل والأهوال))[٤٤] كما يموج البحر فيخلط كلَّ شيءٍ ، ثمَّ كنّى عليه السلام بـ **(كُلُوحُها_ كُدُوحُها)**عمّا سيصيب الناس ((من المظالم وما يحل بالبلاد من الخراب والدمار))[٤٥]، وبوصف الفتنة بهذا الشكل المتفرد ، تكون اللوحة الكنائية قد استكملت جميع أبعادها، وأعطت ما تحمله من معانٍ دقيقة وعميقة للمتلقي الذي من شأنه تفكيك تلك الصورة بما يملكُه من معرفةٍ قارةٍ في مخزونه الثقافي ، أو بما تفرضه طبيعة مجرى الأمور أو الواقع ، للوصول لتلك المعاني .

٣_ صورة الكناية عن النسبة :

هي ((أن يُصرّحَ فيها بالصفة والموصوف ولا يُصرّح بالنسبة التي بينهما ، ولكن يُذكر مكانها نسبة أخرى تدّل عليها))[٤٦]، وندرَ مجيء هذا النوع من صورة الكناية في الحكاية العلوية .

منها قوله (عليه السلام) رداً على من زعموا أنّهم راسخون في العلم من دونهم :((**أَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا ، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنا ... إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا في هذا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِم** .))[٤٧]، فـ **(الْبَطْنِ)** كناية عن البيت الهاشمي ، فمجيئه هنا لإثبات صفات عدة تمثل الركائز الأساسية التي تهدف الصورة الكنائية كشفها وبيانها للمتلقين ، وهذا الهدف هو بيان فضلهم ومكانتهم على سائر الخلق ، بإثبات إنّ العلم والإمامة والولاية هي مختصة بالبيت الهاشمي دونه غيره ، فنسبة هذه الصفات للبطن هي من باب إثبات الصفات في الموصوف .

ثانيا_ حكاية الكناية باعتبار الوسائط والسياق : تقسّم الكناية على اعتبار الوسائط والسياق إلى أربعة أضرب هي : التعريض ، والإشارة ، والرمز ، والتلويح ، وكلُّ هذه الضروب تسهم في رسم صورة كنائية ؛ لأنّ ((لكلِّ واحدةٍ منها تنفرد بخصيصة لغوية وفنية ، تنهضُ بمهمتها في التعبير عن فكر الأديب وذوقه ، والتأثير في المتلقي))[٤٨]، وكما جرتْ عادةُ البحث في تقصي الفنون بحسب ما يرد منها في الحكاية ، لذا سيكون البدء بـ :

١_ صورة التعريض :

وهو إخفاء المعنى وعدم إظهاره بشكل مباشر كالتصريح ، وهو ((نوعٌ لطيف من الكناية يُطلق فيه الكلام مشاراً به إلى معنى آخر يُفهمُ من السياق، أو المقام الذي يتحدث منه))[٤٩] ، ولا يُشترط في التعريض ((لزوم ذهني ولا مصاحبة ، ولا ملابسة مابين الكلام وما يُراد به عليه))[٥٠]، وقد سمي التعريض بهذا الاسم ((لأنّ المعنى يُفهم من عرضه ؛ أي من جانبه))[٥١] ، وما جاء منه، قوله (عليه السلام) حكاية عمّن اتهمه بالشّكِ والخوف من قتال أهل الشّام : ((**وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِي بي، وَتَعْشُو إلى ضَوْئِي**))[٥٢] ، فقوله **(وَتَعْشُو إلى ضَوْئِي)** يعكس صورة عن أهل الشّام ، الذين امتازوا بضعف بصائرهم عن رؤية الحقِّ ، فهم ((بالاهتداء بهداه ، كمن يعشو ببصرٍ ضعيف إلى النار ليلاً))[٥٣] ، ونلمسُ في هذا التعريض نوعاً من الترفّق مشوباً بأملٍ لاهتدائهم للحقّ ، الأمل الذي يجعله يدفع الحرب يوماً بعد يوم ، حتى لا يُقْتَلوا على ضلالتهم ، وإن كان قتلهم نتيجة اندفاعهم وراء الباطل .

وإنْ كُنّا قد لمسنا في النص السابق ليناً ورفقاً ، فالنصِّ الآتي يبدو مختلفاً جداً لعلَّ هذا الاختلاف كون الطرف المخاطب معاوية ، الذي ماانفك يضع نفسه في مواضع الحرج والضيق ، كما في قوله (عليه السلام) حكاية عن سؤاله الشّام : ((**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمسِ. ...وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ! فَكَذَلِكَ نَحْنُ . وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ . وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ . وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ . وَلَبِئسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ! **))[٥٤] .

نلحظ بشكل لافت تتابع الكنايات في الحكاية العلوية ، ومجيئها بهذا الشكل هي محاولة لإظهار صورة خفية تقوم على أساس سلب فضيلة من طرفٍ عن طريق إثباتها في الآخر، فتشكّلت صورتان في الوقت نفسه ، صورة للمتكلم جسدّ فيها كلَّ صفات الكمال، فبدت صورة حيّة تمثلت فيها كلُّ معاني الخلق والفضيلة ، وصورة للطرف الآخر كانت على نقيض الأولى ، فكلا الصورتين توارت خلف

عبارات مشحونة بالمعاني ، والمرتكز الذي انطلقت منه الصورتان ، قوله (**إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ! فَكَذَلِكَ نَحْنُ**) الذي أثبت به الأصل الجامع بينهما ، ثمَّ طفق في بيان ما افترقوا فيه من باب التعريض بالخصم ؛ لذا نلحظ أنّه ((أطال كناياته في تقابل دلالي بينما لم يقفْ على السابقين طويلًا بأكثر من تقابل صريحٍ ؛ لأنّ غرضه من ذلك الوصول إلى بيان حاله ومقارنتها بحال خصمه))[٥٥] ، فوقفت تلك التقابلات الدلالية على أمورٍ مهمة مثلت نقاط ذلك الافتراق منها أنّه إبان فضلِه وشرفِه من جهات متعددة هي ((شرفه من جهة الآباء... وفضيلة السبق بالإسلام والهجرة ... وشرف صحة النسب... وكونه على الحقِّ فيما يقول ويعتقد... وفضيلة كونه مؤمناً مستكملاً للكمالات الدينية والنفسية))[٥٦] ، وبها استحق الفضل والعلو والشرف ، فالتوسل بهذا الأسلوب هنا كان أبلغ وأشدّ تأثيراً .

٢_ صورة الإيماء أو الإشـارة :

هي كنايةٌ ((ليس بين المكنى به والمكنَّى عنه وسائطٌ كثيرة ، ولا خفاء))[٥٧] ؛ لذا هي ((تتوسط بين التلويح والرمز))[٥٨]، وما جاء من هذا النوع من الكناية ، قوله (عليه السلام) حكاية عمّن اتهمه بالحرص على الخلافة : ((**فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلكِ ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنْ الْمَوت ، ... بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُم اضْطِرَاب الْأَرْشِيَةَ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدةِ**))[٥٩]، فقد أشار (عليه السلام) إلى ما يحمله من علم بقوله (**انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ**) ، يُفهَمُ منها أمران هما:

الأول _ أمّا علمه بما أخبره به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص الخلافة بدلالة السياق الذي وردت به .

الثّاني _ ما انطوت عليه نفسُه من العلوم كافة ، لذا جاء بها نكرةً ، لتدل على عموميّة وشمولية علمه لكل شيءٍ . وأشار إلى عدم إمكانية البوح به ؛ وعلّة ذلك مرجعها أنّ البوح موجب للاضطراب لمن يسمعه.

وفي موضع آخر يُشير (عليه السلام) إلى مقدار ما يلقيه على الناس من علمٍ ، دون أن يجدَ مَنْ يحملُه ، ففي قوله ((**بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عَلِيٌّ يَكْذِبُ ... وَيْلُ امِّهِ كَيْلاً بَغَيْرِ ثَمَنٍ ! لَوْ كانَ لَهُ وِعاءٌ**))[٦٠]، نلمح استعارتين توسلها الإمام كوسيلة لرسم صورة كنائية ، **الأولى** : لفظة الكيل ، للإشارة لـ ((ما يحمله من العلوم والمعارف والأخلاق الكريمة ، وإنّه كان يفيضها عليهم دون أجرٍ أو جزاء ، لكنّهم لا يفقهونها))[٦١]، **والثانية** : لفظة الوعاء كناية عن القلوب التي هي مستودع العلوم . فهاتان الكنايتان أعطت صورة عميقة لعظم ما يحمله من علمٍ اختصّ به دون غيره .

وتبدو كناية الإشارة في كثير من الأحيان السبيل الأبلغ ، لاسيّما مع معاوية ، وهذا يتجلى في حكايته (عليه السلام) له : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ**

النَّاسِ فِي الإِسْلامِ فُلانٌ وَفُلانٌ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ... فَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ في التِّيهِ ، رَوَّاغٌ عَنْ الْقَصْدِ . أَلَا تَرَى _ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ _أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا في سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ))[٦٢].

وبقوله **(غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ)**، إشارة إلى صغر مكانته ؛ أي ((لستَ عندي أهلاً حتى أخبرك))[٦٣]، فهو ليس ممن يرتقي إليه منزلةً ، ولا يجاريه علماً ، وليس له من المقام شيءٌ حتى يُتَوجّه بالكلام إليه .

وفي ردِّه عليه السلام على حكاية معاوية تضمنت تهديده بالحرب : ((**وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلاَّ السَّيْفُ ... وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِين ... مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ ، أَحبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهُمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، وَقَدْ صَحِبَتْهُم ذُرِّيةٌ بَدْرِيَّةٌ ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ،قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِها في أَخِيكَ وَجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَهْلِكَ))**[٦٤] .

وراء هذا الحكاية العلوية ترتسم صورة تعكس معاني الشجاعة والقوة والثبات ، التي تجمعها عقيدة راسخة لهذا الجيش ، فحملت الحكاية إشارات عدة تستند عليها تلك الصورة ، منها قوله **(مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ)** ، فيشير بها إلى استعدادهم للموت ، فهو نهاية الطريق للقاء الله ، وهو ما عبّر عنه **(أَحبُّ اللِّقَاءِ)** إشارة إلى غايتهم التي يسعون إليها ، ثمّ تلتها إشارة أخرى تمثلت بقوله **(ذُرِّيةٌ بَدْرِيَّةٌ)** ، إشارة إلى أنّ هؤلاء يحملون من العقيدة والشجاعة التي كان آباؤهم يحملونها في بدء الدعوة الإسلامية ، ومثلما قاتل آباؤهم من أجل القرآن ، سيقاتلون هم على تأويله ، ولإعطاء الصورة مزيد من القوة ، جاء بقوله **(وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ)** ، إشارةٌ إلى شجاعةِ أهلِ بيته وصولاتِ سيوفِهم التي فتكتْ بصناديد العرب ، وإنَّ رسمَ صورةِ الجيشِ بهذا الشكل لهو أبلغ وأشد في مواقف الوعيد والتهديد ؛ لأنه الأقدر على تثوير مكامن الخوف والانفعال الذين يزعزعان صف العدو .

٣_ صورة الــرمــز:

يرتبط الرمز بعالم المعاني فهو تلميح للمعنى بشكل خفي، وهذا ما أشار إليه السكاكي(ت٦٢٦هـ) بقوله: ((الرمز هو أن تشير على القريب منك على سبيل الخفية))[٦٥]، وهو مظهر قلَّ مجيئه في الحكاية العلوية ، منه قوله عليه السلام رداً على حكاية لمعاوية هدده بالحرب : ((**وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِري في الْمُهَاجِرِينَ والْأَنْصَارِ ... وَإِنَّكَ _ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ_ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ))**[٦٦]، فهنا رمز عن بُعدِ معاويةَ عن التدبّر والتفكر بـ **(الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ)** ؛ أي الذي على قلبه غلاف فلا يعي شيئاً ، ورمز إلى نقصان عقله وعدم زنته للأمور بـ **(الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ)** لذلك فهو دائماً يضع نفسه في غير موضعها لعدم إدراكه .

وفي ردِّه عليه السلام على حكايةٍ حين سُئل عن سبب قبوله التحكيم : ((**وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَعَلْتَ**

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي الْتَّحْكِيمِ ؟ فَإِنَّما فَعَلْتُ ذلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ ... مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا ، وَلَا زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا . لَبِئسَ حُشَّاشُ الْحرْبِ أَنْتُم))[٦٧]، فأشار إلى سبب القبول بطريقين :

الأول ـ الصّريح الظاهر، المتمثل بقوله (**ليتبيّن الْجَاهِلُ ويتثبّت الْعَالِمُ**) ؛ أي حين يظهر للجاهل عاقبةُ أمرِ التحكيمِ الذي جرّوه إليه بجهلِهم ، ويتأكد العالم ويتثبّت حين يرى حكمته وبصيرته عليه (السلام) في الأمور.

الثّاني ـ الخفي الباطن ، الذي رمز به إلى قلّة طاعتهم له ونكوصهم عن أعدائهم ؛ لانخداعهم بحيلةِ رفعِ المصاحفَ ، دونما تدبّرٍ وتعقّلٍ ، المتمثل بقوله (**بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بها ـ زَوَافِر عِزٍّ ـ حُشَّاشُ نارٍ**) ، وقد جاءت هذه العبارات في معرض التوبيخ لهم ، ما يعني أنّكم لستم ركناً قوياً يُستندُ عليه ولا عروةً وثيقةً يُعتمدُ عليها ، ولا يداً يُسدُّ بها ثغرٌ ولا يُضربُ بها العدو .

الخاتمة

يتضح أثر الكناية ، في بناء صورةٍ على مستوى عالي من الدّقة ، صورة بليغة مكثفة المعنى ، التي تجلت عبر وسائل تعددت وتنوعت في طريقة عرضها، ورسمها للصورة الكنائية المتوارية ، ما بين الكناية بحسب المكنّى عنه والذي شمل الكناية بالصفة التي كان لها الحضور الأبرز ، ثم الكناية عن الموصوف ، والكناية عن النسبة التي كان حضورها نادراً في الحكاية العلوية ، ثم الكناية بحسب الوسائط والسياق والذي شمل كناية التعريض ، وكناية الإيماء والإشارة ، وكناية الرمز، وعلى الرغم من اختلاف المساحة التي شغلتها كلٌّ وسيلةٍ منها، إلاّ إنّها تمكنت من نقل المعاني المتضمنة فيها بشكل قادر على إحداث التأثير المطلوب وتحقيق الغاية منها .

الهـوامـش

١. دلائـل الإعجـاز ، الجرجـاني : ٥٩_٦٠ . و ظ: المثل السائر ، ابن الأثير :١٨١/٢.
٢. الأثر القرآنـي فـي نهـج البلاغـة ، د. عبـاس علـي حسين الفحام : ١١٤.
٣. بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير : ٣٢٨.
٤. الطراز ، العلوي : ١٥٦.
٥. ظ : الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي ، محمد الحسن الأمين احمد (رسالة ماجستير) : ١٠٢ .
٦. الكناية والتعريض ، أبو منصور الثعالبي :٤٣.
٧. علم البيان ، عبد العزيز عتيق : ٢١٢.
٨. نهـج البلاغـة ، الإمـام علـي (عليـه السـلام) ، خ(٢٥) : ٨١.
٩. ظ : شـرح نهـج البلاغـة ، محمـد كـاظم القزوينـي الحائري : ١١٥/٢ .
١٠. نهـج البلاغـة ، الإمـام علـي (عليـه السـلام) ، ك(٤٠) : ٥٤٧.
١١. المعارج : آية ٣٢ .
١٢. نهـج البلاغـة ، الإمـام علـي (عليـه السـلام)، ك(٤٣) : ٥٥١.
١٣. شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥/ ٩٥ .
١٤. المؤمنون : ١٠٣.
١٥. نهـج البلاغـة ، الإمـام علـي (عليـه السـلام) ، خ(١٧٢) : ٣٢٦_٣٢٧.
١٦. توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي : ٤٠/٣.
١٧. نهـج البلاغـة ، الإمـام علـي (عليـه السـلام) ، م(٢١٧) : ٤٤٨.
١٨. مفتاح السعادة ، محمد تقي النقوي : ٥/ ١٧٨ .
١٩. الدّرة النجفية ، إبراهيم بن حسن الخوئي : ٨٨.
٢٠. توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي : ٣٤٣/٣.
٢١. الأداء البياني في خطب الحرب في نهج البلاغة ، نجلاء عبد الحسين (رسالة ماجستير) : ٧٥.
a. هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضارة بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهير بن الأشعر ، أسلم بعد الهجرة ، تولى الكوفة أيام خلافة عثمان ، وعُزل عنها في خلافة الإمام. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٣/ ٣١٤ .
٢٢. نهـج البلاغـة ، الإمـام علـي (عليـه السـلام) ، خ (٢٣٦): ٤٧٤.
٢٣. المصدر نفسه، م(١٢١) : ٢٣٧.
٢٤. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٥/ ١٦٩ .
٢٥. نهـج البلاغـة ،الإمـام علـي (عليـه السـلام) ، م(١٢٧) : ٢٤٤_٢٤٥.
٢٦. سورة الشورى ، آية : ١١ .
٢٧. حـدائق الحقـائق ، محمـد بـن حسـن البيهقـي : ١/ ٥٨٢ .
٢٨. شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ١٧٤/٣.
٢٩. علم البيان ، عبد العزيز عتيق: ٢١٥.
٣٠. نهـج البلاغـة ، الإمـام علـي (عليـه السـلام)، ك(٢٨) : ٥١٢_٥١٣.
٣١. شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥٢٣/٤ .
٣٢. بلاغـة النـهج فـي نهـج البلاغـة ، د. عبـاس علـي حسين الفحام : ١٧٠ .
٣٣. نهـج البلاغـة ، الإمـام علـي (عليـه السـلام) ،ك(٢٨) : ٥١٧.
٣٤. شـرح نهـج البلاغـة ، ابـن ميـثم البحرانـي : ٥٣١/٤.

٣٥. نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ،خ (١٠٠) :١٩٣.
٣٦. ظ : الاقتباس التضمين ، كاظم عبد فريح الموسوي : ٢٦ .
٣٧. الكشاف ، جار الله الزمخشري : ١٠٧.
٣٨. ظ : لسان العرب ، ابن منظور : ٧/ ٦٣ .
٣٩. ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢٩٩.
٤٠. توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي : ١٣٠/٢.
٤١. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٠٠/٣.
٤٢. شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٣/ ٢١ .
٤٣. نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك(١٠٠) : ١٩٣.
٤٤. شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢١/٣.
٤٥. شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٩٥/٢.
٤٦. الكناية والتعريض ، أبو منصور الثعالبي : ٣٦ .
٤٧. نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ،خ(١٤٤) : ٢٦٧.
٤٨. بناء الصورة في البيان العربي ، كامل حسين البصير : ٣٢٩.
٤٩. علوم البلاغة ، محمد احمد قاسم : ٢٤٩.
٥٠. البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي : ١٥٢/٢.
٥١. المثل السائر ، ابن الأثير : ١٨٦/٢.
٥٢. نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام)، م(٥٤) : ١١٤.
٥٣. منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ٣٢٨/٤.
٥٤. نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ،ك(١٧) : ٤٩٦.
٥٥. بلاغة النهج في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ١٦٨.
٥٦. ظ: شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤٦٧/٤.
٥٧. البلاغة العربية ، عبد الرحمن حسن جنكة : ١٤١/٢.
٥٨. علوم البلاغة ، احمد محمد قاسم : ٢٥٠.
٥٩. نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م(٥) :٦٢.
٦٠. المصدر نفسه ، م(٧٠) : ١٢٥.
٦١. شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني :٢٦٣/٢.
٦٢. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: ١٥/ ١١٣.
٦٣. المصدر السابق : ١٢١/١٥.
٦٤. نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ،ك(٢٨) : ٥١٢_٥١٣ .
٦٥. مفتاح العلوم ، السكاكي : ٤١١.
٦٦. نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك(٦٤) : ٦٠٧.
٦٧. المصدر نفسه ، م(١٢٥) : ٢٤٢_ ٢٤٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون ، د. عباس علي حسين الفحام ، دار الرافدين ، لبنان ، ٢٠١٢ .
- الأداء البياني في خطب الحرب في نهج البلاغة ، نجلاء عبد الحسين الغزالي ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٢ .
- الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية ، د . كاظم عبد فريح الموسوي ، (د.م) ، ٢٠٠٦ .
- البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن حبنّكة الميداني الدمشقي ، دار القلم _ دمشق ، دار الشامية _ بيروت ، ط : ١، ١٩٩٦.

- بلاغة النهج في نهج البلاغة ، د. عباس علي الفحام ، دار الرضوان ، عمّان _ الأردن ، ط : ١، ٢٠١٤.
- بناء الصورة في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧ ، (د. ط) .
- توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي ، دار التراث الشيعي ، إيران ، (د.ت).
- جواهر البلاغة ، السيد احمد الهاشمي ، دار الفكر الجديد ، بيروت _ لبنان، (د.ت).
- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيذري ، تصحيح ، عزيز الله العطاردي ، مؤسسة نهج البلاغة _ قم ، ١٤١٦هـ.
- الدّرة النجفية في شرح نهج البلاغة الحيدرية ، السيد إبراهيم بن حسين الخوئي ، تم التأليف ١٢٩١ق ، (د.ت) .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه د. محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت _ لبنان ، ٢٠١٤.
- شرح نهج البلاغة ، ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) ، وفا _ إيران ، ط : ١ ، ١٤٢٧هـ.
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، ط : ١ ، ٢٠٠٧ .
- شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٩٨ .
- شرح نهج البلاغة ، محمد كاظم القزويني الحائري ، مطبعة منيمنة ، بيروت ، ١٣٨١هـ.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت ٧٤٩هـ) ، دار المقتطف ، مصر ، (د.ت) .
- علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت_ لبنان ، (د.ت) .
- علوم البلاغة . د. محمد احمد قاسم ، د. محي الدين دبي ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس_ لبنان ، ط :١ ، (د.ت) .
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) ، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت_ لبنان ، ط : ٣ ، ١٤٣٠هـ_ ٢٠٠٩م .
- الكناية والتعريض ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق : الدكتورة عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٨م .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤١٤هـ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزري (ت٦٣٧هـ) ، قدمه وعلق عليه د . احمد الحوفي ، د. بدوي طبّانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة . ط : ٢ ، (د.ت) .
- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي النقوي القايني الخراساني ، مطبعة زنبق _ طهران ، ط : ٢ ، ١٤٢٨هـ.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، (د. ت) .
- نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، حققه وضبط نصه الشيخ قيس بهجت العطّار ، مؤسسة الرافد للمطبوعات . قم ، ط١: ، ١٤٣١هـ _ ٢٠١٠م ،